**عنوان المداخلة : المراكز الاستيطانية في الغرب الجزائري وتأثيرها عل الحياة العامة للأهالي 1830-** **1870**

**د/ سعاد بولجويجة**

 **جامعة 8 ماي 1945 –قالمة-**

**المقدمة:**

تندرج عمليات الاستيطان التي تعرضت لها الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي ضمن المشروع الاستعماري الفرنسي الهادف إلى القضاء على العنصر الجزائري، وإخلاء الأرض لأقلية أوروبية تضمن لها ترسيخ مشروعها، حيث عمدت السلطات الفرنسية إلى ضم أراضي الوقف، كما صادرت مساحات شاسعة من الأراضي الفلاحية باستخدام شت الطرق والوسائل
 وكون الغرب الجزائري يتميز بمؤهلاته الاقتصادية والطبيعية والبشرية فإنه لم يسلم من السياسة الاستيطانية الفرنسية، وعلى هذا الأساس جاء موضوع مداخلتنا حول الاستيطان و مراكزه في الغرب الجزائري من الفترة الممتدة من 1830م – 1870 م. وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على أحد أهم المواضيع التي تعالج جزء من تاريخ مناطق الغرب الجزائري، كونها كانت ميدانا خصبا لتطبيق المشروع الاستيطاني ومحور التمركز الأوروبي وحقلا للتجارب الاستيطانية. وسنركز عن أهم هذه المراكز وتأثيرها عل حياة السكان هنا ك، في وهران ، تلمسان ، تيارت وغيرها.

وعلى هذا الأساس نطرح الإشكالية التالية: -إلى أي مدى ساهمت سياسة الاستيطانية المطبقة في الغرب الجزائري في تفكيك البنية الاقتصادية والاجتماعية ؟ وماهي أكبر المستوطنات وّأهمها التي تم انشاؤها بالمنطقة منذ احتلالها؟

**أولا : التعريف بالسياسة الاستيطانية :**

السياسة الاستيطانية هي ممارسة تقوم بها دولة ما بنقل مواطنيها إلى أرضٍ معينة، غالباً ما تكون مأهولة بسكان أصليين، بهدف السيطرة على تلك الأرض وتغيير تركيبتها السكانية لصالح المستوطنين الجدد.

وتتميز هذه السياسة بِعِدة خصائص:

* الاستيلاء على الأرض: تُصادر الأراضي من السكان الأصليين أو تُشترى منهم بأسعار زهيدة، ليتم توزيعها على المستوطنين الجدد.
* تهجير السكان الأصليين: يُضطر السكان الأصليون إلى مغادرة أراضيهم قسراً أو طوعاً، ممّا يُؤدّي إلى تفكيك مجتمعاتهم وتراثهم.
* تغيير التركيبة السكانية: تُصبح غالبية السكان في المنطقة من المستوطنين الجدد، ممّا يُؤدّي إلى تغيير ثقافة المنطقة ولغتها وهُويتها.
* إقامة بنى تحتية جديدة: تقوم الدولة ببناء مستوطنات جديدة، وطرق، ومدارس، ومستشفيات، لخدمة المستوطنين الجدد.
* السيطرة السياسية: تهدف السياسة الاستيطانية إلى بسط سيطرة الدولة على المنطقة، وتغيير قوانينها لصالح المستوطنين الجدد.

وتُستخدم السياسة الاستيطانية لأغراضٍ مختلفة، منها:

* التوسع الإقليمي: تُسعى بعض الدول إلى توسيع أراضيها من خلال الاستيطان.
* السيطرة على الموارد: تُسعى بعض الدول إلى الاستيلاء على الموارد الطبيعية الموجودة في أراضي السكان الأصليين.
* التغيير الديموغرافي: تُسعى بعض الدول إلى تغيير التركيبة السكانية في منطقة ما، لِخدمة مصالحها السياسية.
* الأيديولوجية: تُؤمن بعض الدول بِحقّها في الاستيطان في أراضٍ معينة، لأسبابٍ دينية أو عرقية أو تاريخية.

**ثانيا : الاستيطان الأوروبي بالغرب الجزائري 1830-1870**

كانت مصادرة الأراضي الهدف الأول لسلطات الاحتلال الفرنسي لتدمير البنية الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين، ولتوفير أراض للمعمرين الأوروبيين من أجل الاستيطان. وفي إطار ذلك، قامت السلطات الفرنسية، في الفترة الممتدة ما بين 1831 و 1840 بمصادرة حوالي 108 هكتارات في ضواحي مستغانم، أما في تلمسان فلقد تعرضت حوالي 24 عائلة لعمليات نزع الأراضي، ونفس الشيء حدث للعديد من العائلات في معسكر وسعيدة[[1]](#footnote-1) وبعد هذه العمليات الأولى في الغرب الجزائري، قامت السلطات الفرنسية بإصدار عدة قرارات لإنشاء عدة مراكز استيطانية على مساحات واسعة من الأراضي التي صودرت لذلك الغرض ومن ذلك قرار 1844 الذي نص على إنشاء مركز السانيا على مساحة تقدر بحوالي 635 هكتارا. وقرار 25 نوفمبر 1844 لإنشاء مركز مسرغين على مساحة 10.44 هكتارا، وقرار 20 جويلية 1845 القاض ي بإقامة مركز آرزيو على رقعة أرض مساحتها 1800 هكتار، بالإضافة إلى قرار 14 ديسمبر 1846 الذي نص على إقامة ثمانية مرااكز استيطانية. منها مركز المقموم الذي خصصت له مساحة قدرت ب 600 هكتار والغزوات على مساحة 500هكتار، والكرمة على مساحة 469 هكتار [[2]](#footnote-2)وبذلك يمكن القول أن الاستيطان مس في البداية أراضي فلاحية جد خصبة وفي مواقع إستراتيجية ضمنت للكولون وسلطة الاحتلال مصادر ثروة ومراكز سيطرة على سكان المحليين.

وزادت هذه العمليات وطأة مع اعتماد الجنرال بيجو على الأرض المحروقة التي كان لها نتائج كارثية على وضع السكان الاجتماعي والاقتصادي، ومن نماذج هذه العمليات استيلاء بيجو في حملة على قبيلة أولاد دفلتان بجبال الونشريس في 26 ماي 1845 على حوالي 3000 رأس من الأغنام، وفي أفريل 1846 شنت القوات الفرنسية غارة على قبائل ضواحي تلمسان فاستولت على 8500 رأس من البقر و 300 رأس من الغنم و 800 من الدواب، ثم عادت القوات الفرنسية لتشن غارة على نفس القبائل في الشهر الموالي، كان من نتائجها

الاستيلاء على 1000 رأس من البقر و 15000 من الغنم [[3]](#footnote-3)

 **ثالثا : تأسيس المراكز العسكرية وتطويرها بالغرب الجزائري 1830-1870**

* 1. **تأسيس المراكز العسكرية:**

سعت السلطة الفرنسية للسيطرة على كافة التراب الجزائري وتعزيز إدارتها بإتباع سياسة استيطانية في كافة المناطق التي تحتلها، كما أن معظم الأقاليم الجزائرية كانت مجالا ريفيا يتقاسمه عدد من

القبائل الجزائرية العربية منها والأمازيغية لذلك بادرت السلطة الفرنسية بخلق تنظيم داخل كل قبيلة

مكونا من موظفين تابعين لسلطتها يشرفون على إدارة القبيلة يكونون همزة وصل سعيا لخلق علاقات

سياسية وإدارية بين السلطة الفرنسية ومختلف القبائل الجزائرية. [[4]](#footnote-4)

تتبعت المراكز العسكرية التنظيم الإداري المطبق من قبل السلطة الفرنسية وتأتي في الترتيب

الثالث بعد كل من الدواير والمناطق الإدارية[[5]](#footnote-5).

تتمثل مهمة مسؤول المراكز العسكرية في حماية المنطقة في حالة إذا ما هوجمت من طرف قبيلة

ما، كما يشارك في الحملات ضد القبائل المتمردة بأمر من القائد السامي للإقليم، ولكن المهمة الأساسية لمسؤول المركز العسكري المخول القيام بها هي حكم وإدارة القبائل الخاضعة ومراقبة القبائل المتمردة.[[6]](#footnote-6)

**2-تطوير المراكز العسكرية ونشوء القرى الاستيطانية:**

اتضح من بداية الاحتلال عام 1830 تغليب العنصر الأوربي على حساب العنصر المحلي

وقد جاء في تقرير لجنة تحقيق" أعد الوقت الذي يسعى فيه الجيش لإخضاع العرب يتوجب على الكولون وضع أيديهم على الأرض التي تركها العدو وبذلك نملأ الفراغ الذي خلفه الحرب...''. [[7]](#footnote-7)

وقد اتضح هذا على أرض الواقع ففي الوقت الذي انشغلت فيه السلطة الفرنسية بمواجهة مقاومة الأمير عبدالقادر كانت تعمل في الوقت ذاته على تعزيز الاستيطان الأوربي في المدن والاقاليم التي استولت عليها كالجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران في وقت حد قصير ،وقد استقطبت مدن الغرب الجزائري أعدادا كبيرة من المهاجرين وبخاصة الاسبان الذين فضلوا الاستقرار في مدينة وهران نظرا لمعرفتهم للمدينة ونواحيها والتي تزيد عن قرنين من الزمان ، وقد عرفت الفترة ما بين 1847 -1868 م استقرار أوربيا في مدينة وهران دون غيرها من المدن.

اعتبرت السلطة الفرنسية الاستيطان الأوربي في الجزائر حق مشروع لتطوير ونقل الحضارة الاوربية اليها،

فقد جاء على لسان الدكتور فا رنيه Dr Warnier والاقتصادي جول دوفال Jules Duval

 أن الاستيطان ظاهرة تاريخية لا يمكن مقاومتها فهي حق طبيعي كحق النضال من أجل الحياة لذلك وجب العمل على إزالة الأعراف الدنيا وتغليب الأعراف السامية كما حدث في أمريكا الشمالية وأستراليا [[8]](#footnote-8)

قسم لاموريسير Lamoriciére الإقليم الوهراني الى أربعة مقاطعات ، وهران ، تلمسان ،

مستغانم ، معسكر[[9]](#footnote-9) ، وذلك بتوطنين خمسة ألاف عائلة فلاحية توزع على 22 بلدية فوق أراضي

تقدر ب: 80000 هكتار .

سعت إدارة الاحتلال الفرنسي في إطار ما سمته مصادرة الأ راضي من اجل الصالح العام الى تشكيل مراكز استيطانية ، تأسست وفق مخططات استعمارية ، كان الهدف منها ضمان وتأمين الاسيتطان

بالجزائر **.**

**2-1 -المركز الاستيطاني معسكر :**

**مركز دوبلينو الاستيطاني :** في سنة 1843 م بنى العسكريون الفرنسيون جسرا يعلو وادي

الحمام بمنطقة حسين ، وفي عام 1844 م ، تحولت قرية وادي الحمام الى معسكر فرنسي دائم بعد تأسيس حصن لها من اجل حراسة الجسر الذي يمر عبر العسكريون الفرنسيون أما مؤسسةUnio Agricole

فقد تحصلت عام 1845 م على ثلاثة ألاف هكتار بسيق وهو امتياز يرمز الى توطين

300 عائلة أوروبية مع توفير المعدات الزراعية والمرافق الضرورية ولتثبيت المعمرين، قامت سلطات الاحتلال ببناء أربعة عشر مركزا استيطانيا لسنة 1843 م، و 17 مركزا استيطانيا لسنة 1844 م

و في اكتوبر 1845 م أنشأ بيجو مركزين استيطانيين بضواحي معسكر في سان هيوليت المامونية وسان أندري Bugeaud وذلك لاجتثاث مقاومة الأمير عبد القادر[[10]](#footnote-10)

**2-2 -المركز الاستيطاني : سيدي بلعباس :**

يدخل انشاء مدينة بلعباس ضمن المستوطنات 19 مخصصة لعمالة وهران بمقتضى قانون

19 سبتمبر 1848 م ، ولكن ليس معنى ذلك أن منطقة بلعباس الاوربية بدأ تأسيسها في هذه السنة بل يعود تاريخ بداية ظهورها الى 1843 م عندما أوكلت مهمة انجاز مركز استيطاني على الضفة اليمنى بوادي مك رة لفرقة اللفيف الأجنبي ثم أخذ هذا المركز في التوسع واستقطاب الأوربيين اليه الى غاية 1848 م ، حيث تقرر تحويل المركز الى مستوطنة أوربية بشكل رسمي[[11]](#footnote-11)

وذلك في 10 نوفمبر 1848 م حيث قدم النقيب برودون مشروع بناء مدينة سيدي بلعباس إلى الحاكم العام بعد وضع مخطط عمراني من طرف لجنة تشكلت لهذا الغرض وتضمنت هذاالمشروع ما يلي : -تحديد مساحة المدينة ب 42 هكتار.

-تقسيم هذه المساحة الى منطقتين احداهما مدنية وأخرى عسكرية

-وضع نظام تحصيني يتضمن جدارا يقدر ارتفاعه ب 05 متر

-توسيع مساحة المدينة كما يلي : 05 هكتا رات للتحصينات ، 16 هكتارات للمؤسسة

العسكرية ، 11 هكتار للطرقات والأماكن العامة ، 10 هكتارات لإقامة المدينة وكذلك انشاء أربعة أبواب للمدينة وهي على التوالي : في الشمال:باب وهران ، في الجنوب : باب الضاية ، وفي الشرق :

باب معسكر ، وفي الغرب :يسمى باب تلمسان .

. -تخصيص 200 قطعة أرض لبناء سكنات تأوي حوالي 2000 مستوطنة [[12]](#footnote-12)

اعتبرت منطقة بلعباس كباقي المناطق الغربية في الجزائر حقلا للتجارب الاستيطانية السياسية

والتي تمثل فعلا وتعكس ما جرى في البلاد من حركة استيطانية ومصادرة الأراضي الزراعية لصالح المعمرين .

لقد كانت هجرة الفرنسيين والاوربيين نحو الجزائر خلال القرن 19 م اداة مدنية لضمان

نجاح مخطط الاحتلال الجزائر ، والتمكين لمشاريع ومصالح الإدارة الفرنسية في البلاد

.**2-3 -المركز الاستيطاني الونشريس :**

 من خلال المقاومات الشعبية التي عرفتها المنطقة متمثلة في مقاومة الأمير عبدالقادر، والشيخ بومعزة وسيدي لزرق بلحاج في منتصف القرن 19 اضطر العدو الفرنسي الى تأسيس ثكنات ضخمة بالونشريس : أهمها ثكنة ثنية الاحد وبرج المراقبة لعين تيسمسيلت لمراقبة السكان .

اضطر بيجار الى بناء الاصنام 1842 ، هذه المنطقة كانت تحمي قاعدتين هامتين للأمير عبدالقادر وهما تاقدمت وتازة جنوب ثنية الاحد [[13]](#footnote-13)

فغزو المنطقة كان بعد مقاومة قبائل الونشريس التي ساندت الأمير عبدالقادر ، حيث صودرت

أراضيها وفرض عليها قوانين الملكية العقارية وكان الهدف منها طرد سكان القبائل وانشاء القرى للمعمريين .

**الخاتمة :**

ساهمت عملية بناء قرى ومراكز جديدة في شكل مستوطنات على استغلال واستثمار الأرض بما يخدم المصلحة الفرنسية والمستوطنين ، أما الشعب الجزائري فقد اخضعته الإدارة الفرنسية لمجموعة من القوانين الاستثنائية شديدة القسوة والاضطهاد وتجريده من مقومات شخصيته وممتلكاته وكان الهدف من هذا الحاقه بفرنسا كما جردته من كافة الحقوق التي يتمتع بها .

لقد كان الدعم المادي والمعنوي لحركة الاستيطان ظاهرا في خطابات كل الحكام الذين تداولوا السلطة والحكم على الجزائر سواء العسكريين منهم او المدنيين كالحاكم العام "بيجو

Bugeaud و"كلوزيل Clauzel اللذان عملا على إيجاد ملكية فرنسية على أرض الجزائر بغطاء قانوني.

تمكنت فرنسا بالغرب الجزائري من إرساء اللبنة الأولى لمشروعها الاستيطاني التوسعي إذ استولت على مناطق شاسعة بنواحي عمالة وهران ، سيدي بلعباس ، معسكر، الونشريس و الشلف كما أدت سياسة الاستيطان التي انتهجتها فرنسا في الجزائر بالخصوص في منطقة الغرب الجزائري في الفترة المحصورة ما بين 1830 الى 1870 م إلى تأثر الجزائريين في كل من الجانب الاقتصادي والاجتماعي، حيث قام بعضهم بتقديم العرائض والاحتجاجات للإدارة الفرنسية والانخراط في صفوف المقاومات الشعبية أو الاعمال الفردية حيث ذكرت جرائد القطاع الوهراني العديد من تلك الأفعال بالهجوم على أملاك المعمرين وسرقتها واعتراض المستوطنين .

1. - بن داهة، عدة.: ظاهرة الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر ، 1830 - 1962. اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران ، .الجزائر ، 2007-2008 ، ص 267 [↑](#footnote-ref-1)
2. - المرجع نفسه ، ص 267-268 [↑](#footnote-ref-2)
3. - -أندري، برينان. أندري، نوشي. وإيف، لاكوست. الجزائر بين الماضي والحاضر. تر: اسطنبولي رابح و منصف عاشور.

الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية. 1984 ، ص 286. [↑](#footnote-ref-3)
4. -Prosper enfantin :colonisation de lalgerie,ed.p.bertrand.librair,paris,1843,p338. [↑](#footnote-ref-4)
5. -Ibid, , p 334. [↑](#footnote-ref-5)
6. - صبرينة الواعر : الإدارة الفرنسية للقبائل الجزائرية، 1830 م – 1870 م: الغرب الجزائري أنموذجا، مجلة عصور الجديدةع:24-25

، ،جامعة وهران، 2016 ، ص ص: 244-245 [↑](#footnote-ref-6)
7. - - المرجع نفسه ، ص247 [↑](#footnote-ref-7)
8. -Alin (saussol) et Joseph Zitonerski : « une colonie de peuplement mais des européens très minoritaires » .In .les actes du colloque colonie territoires , sociétés : l’enjeu français ,Ed l’harmattan ,1996.pp167-180. [↑](#footnote-ref-8)
9. - . عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 5 ، ص 49 [↑](#footnote-ref-9)
10. -عدة بن داهة ، الاستيطان والصراع حول الملكية ، مرجع السابق ، ج 1، ص 59 [↑](#footnote-ref-10)
11. -إبراهيم لونيسي ، استعمار الاستيطاني في الجزائر خلال القرن 19 ،منطقة سيدي بلعاس نموذج ، مجلة العصور الجديدة، جامعة

68- وهران ، ع 06 ، ديسمبر 2005 ، ص : 67 [↑](#footnote-ref-11)
12. --1 عدة بن داهة ، الخلفيات الحقيقية للتشريعات العقارية في الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي 1830-1873 ، الملتقى الوطني الأول

. حول العقار في الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي 1830-1962 ، ص 183

. [↑](#footnote-ref-12)
13. -- - محمد بليل ، الاستيطان الفرنسي بمنطقة الونشريس و انعكساته على سكان المنطقة 1863-1913 ، منشورات مجلة أبحاث ، ، دار الثقافة ، تيسمسيلت ، ع 3 ، 2014 ، ص ص 89 ،90 [↑](#footnote-ref-13)